السِّيميائيات التّداوليّة في أدب الرِّحلات رحلة السِّيرافيّ أنموذجاً

الكلمات المفتاحيّة :أدب . الرّحلات ، السّيرافيّ

أ.م.د هَازَه عَبّاس عَلِيّ
جامعة السُّليمانية \ كليّة اللغات
Hazha.ali@univsul.edu.iq
أ.م.د رَمَضَان مَحمُود كرِيّم
جامعة كَرميان \ كليّة التربيّة
ramadhan.mahmood@garmian.edu.krd
أ.م.د حُسَين عِمرَان مُحَمّد
جامعة كَرميان \ كليّة التربيّة
Hussein.imran@garmian.edu.krd

المُلخص

انتقت هذه الدراسة ميدان أدب الرّحلات بوصفه مجالاً ثقافياً مكتنزاً بأنساق العلامات وأنظمة التواصل وتنتعش في فضائه الابعاد التّداوليّة ، ومن هنا وقع الاختيار على منهج السّيميائيات التّداولية ومرتكزاتها الرئيسة في طروحات تشارلز بيرس(١٨٣٩-١٩١٤) وتشارلز موريس (١٩٠١-١٩٧٩)وجون أوستين(١٩١١-١٩٦٠) لتكون المجسّة في معالجة نصوص الرّحلة ومقاربتها . وأفضت توظيف تلك المفاهيم والآليات الى اضاءة النص التراثي وقراءته بحلّة جديدة مفعمة بدلالات جمالية ورمزيّة وأخلاقيّة وانسانيّة وكذلك استظهار التفاعل الايجابيّ بين نص قديم ومنهج حديث ومعاصر .

المقدمة

يعدُّ أدب الرّحلات نمطاً من الكتابة الفنيّة المنتمي إلى النسق السَّرديّ الجامع بين الواقع والخيال ويستهدف وظائف عديدة تعليميّة واخباريّة وتوثيقية وثقافيّة ؛ ولأنَّ الانطلاق والرحيل إلى جغرافيات مختلفة وأماكن متنوعة والاطلاع على ثقافات متباينة من مرتكزات الرحلة فإنَّ الفكر يعكس تلك السّلوكيات بالعلامات اللسانية وغير اللسانيّة من أجل التواصل والتمايز والتعايش ، وههنا فإنّ هذه الدراسة الموسومة بـ " السِّيميائيات التّداوليّة في أدب الرحلات رحلة السِّيرافيّ أنموذجاً " انتقت هذه العينة في مجال أدب الرّحلات بوصفه ميداناً مكتنزاً بأنظمة ثقافية تنشط في حيزّه الممارسات التّداوليّة بوصفها علامات مقصودة بين مؤوليها ومن أجل

ذلك اقتضت الدراسة توظيف السّيميائيّة منهجاً للدراسة في تحليل تلك العلامات المنبجسة من الموجودات والأفعال . وأفضت طبيعة العيّنة المنتقاة للفحص والدراسة التنوعَ في الاستعانة بمسار تطور الطرح السّيميائي فكانت سيميائيات بيرس وبرنامجه في دراسة العلامات القاعدة الأولى للانطلاق في التحليل السّيميائيّ . ولأنّ نظريات العلامات عند بيرس تشكل- بحسب سيبيوك- نظرية في التجربة الدِّلاليّة ونظريّة في الوعي ؛ لأنّها تدرس امكانيات علامة البنيّة مع الفكر بوساطة تحليل العلامة واكتشاف فاعلية الصيرورة في النظام العلاميّ الذي يكتنز معلومات دلاليّة وأبعاداً معرفية وثقافية .[١] وكانت رؤية تشارلز موريس إلى التّداوليّة بوصفها جزءاً من السّيميائية والنظر إلى العلامة والعلاقة بمستعملها وطريقة توظيفها وأثرها في المتلقين نظرة سلوكيّة المنطلق الثاني في هذه الدراسة . أما جهود أوستين الناضجة والمتأثرة لمن سبقه في نظرية الأفعال الإنجازية ولاسيّما جانب الفعل التأثيري منها فجاءت منطلقاً ثالثاً في المعالجة والتطبيق .[٢]

تكمن أهمية البحث في قراءة شذرة من شذرات الموروث الثقافي والجمالي قراءة معاصرة لمعرفة طبيعة الاتصال والانفصال بين الثقافات عبر المراحل التاريخيّة ومسك جوانب من شعرية العلامات وكذلك فاعلية الفكر الحديث والمعاصر بوساطة المناهج النقديّة الحديثة في التصدي لأنواع الأدب تنظيراً وتأويلاً وقراءة . ومن الدراسات التي اعتنت بأدب الرحلات هي : الرحلة في الأدب العربيّ ،١- التجنيس ، آليّات الكتابة ، خطاب المتخيل لشعيب حليفي ، ٢٠٠٧ . ٢- و الآخر في الثقافة العربيّة صورة شعوب الشَّرق الأقصى في الثقافة العربيّة الوسيطة (الصين والهند وجيرانهما) لشمس الدين الكَيلانيّ ، ٢٠٠٨ . ٣-الفضاء الرِّوائيّ في رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ دراسة سيميائية ، ٢٠١٧ .

وأسفر الاستقراء في رحلة السِّيرافيّ في ضوء المنهج السِّيميائي التّداوليّ إلى تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور هي : الأول -السِّيرورة الدلاليّة (السِّيميوزيس) . الثاني -الأفعال التأثيريّة للعلامات . الثالث- فضاء المثقافة . ثم أناخت الدراسة رحالها في محطة الخاتمة لإبراز نتائج البحث وأهم مخرجات محاوره . وقفيّنا بعدها ملخصاً باللغة الانجليزيّة ، وكان المنتهي مسرداً لمصادر البحث ومراجعه .

المحور الأول- السَّيّروة الدِّلاليّة (السِّيميوزيس Semiosis)

خضعت اللغة بوصفها نظاماً من أنظمة التواصل إلى تصورات الفلاسفة واللسانيين وغيرهم وكانت قضية المعنى وانتاج الدِّلالة – السّميوزيس –من أبرز قضاياها عبر التاريخ . والمصطلح المشار إليه اجترحه بيرس بوصفه آليّة خاصة في ارساء دعائم نظام التّدليل وانتاج الدِّلالة بوصفه السَّيرورة التي يمكن بوساطتها للأشياء أن تشتغل بوصفها علامات .[٣] إذ يتجسّد بوساطة سياق ثقافيّ واجتماعيّ ؛ لأنَّ الدَّلالة تتولد بالمواضعة الثقافيّة والاجتماعيّة والمعنى الناشئ عن هذه السَّيرورة يختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر .[٤] في ضوء ماتقدّم يمكننا معاينة آليّة السِّيرورة الدلاليّة- السّيميوزيس – في رحلة السِّيرافيّ في بنيّة المقدّمة بوساطة صوت الراوي وهو يسرد فعل البّحارة لرؤيتهم أحد أنواع الحيتان الموسوم بجسامة حجمه " والمراكب التي تكون في البحر تخافه فَهُم يضربون باللّيل بنواقيس مثل نواقيس النَّصارى مخافة أن تتكئ على المركب فتُغرقُه ".[٥] يوظّف النص الرّحليّ التواصل الرمزيّ بوساطة الضرب بالنَّواقيس لدرء الخطر عن المراكب من الحيتان العملاقة . وهذا الفعل – الضرب بالناقوس- بوصفه علامة سيميائية بين البّحارة انزاحت من معناها التعيينيّ في سياقها العام إلى دلالة قصديّة للفئة المستهدفة ؛ لانَّ الضرب بالناقوس في الديانات ولاسيّما عند النَّصارى من التقاليد التي تسبق فريضة اقامة الصلوات عندهم ، لكن في سياق هذا النص تحول فعل الضرب إلى وظيفة التحذير ومن ثم فمستعملو العلامة من المرسلين والمستقبلين – أهل المراكب- انتجوا دلالة مغايرة في السِّياق الجديد للناقوس بناءً على نظامهم الثَّقافيّ المتواضع عليه بينهم . وهذا التشفير السّيميائيّ للحدث الواقعي يعضّد الانتقال في التصور السّيرورة الدلاليّة –السّيميوزيسيّ –وهو أنّ " الأقرار بأنَّ السِّيميوزيس سيرورة لا متناهية فقد تم الإقرار أيضاً بأنَّ ثقل الحاجة التواصليّة يقود إلى تحجيم السّيميوزيس وتسييجه ضمن سياقات تمكن الذات المتواصلة من الاستقرار على دلالة بعينها لتصيّر العناية في السَّيرورة السِّيميوزيسيّة منصباً على معرفة ما هو مهم وأساسيّ لنا في مقام خطابيّ محدد "[٦].

وفي موضع آخر من رحلة السّيرافيّ يلاحظ الراصد السّيميائي تجليّاً جديداً لسّيرورة العلامة في سياق ظاهرتي المدِّ والجَزْر في متتاليّة سرديّة تكشف عن سيمياء التواصل في حقل الملِاحة البحريّة وصلتها برصد حركة الأجرام السّماويّة وهو ما نلمسه في ملفوظات السّارد

الحقيقي في مراقبته لحدوث المدِّ والجَزْر على مسطح مائي ممتد من البصرة إلى الصّين " وفيها مدٌّ وجَزْرٌ مرتين في اليوم واللّيلة ، إلاّ أنّ المدَّ فيما يلي البصرة إلى جزيرة بني كاوان إذا توسط القمرُ السّماءَ ... ويكون الجَزْر عند طلوع القمر وعند مغيبه ، والمدُّ يكون بناحية الصّين من جزيرة بني كاوان إذا طلع القمر ، فإذا توسط السّماءَ جَزْر الماء، فإذا غاب كان المدُّ ، فإذا كان في مقابلة وسط السّماء جَزْر " .[٧] إنّ القمر في نسقه اللغوي ومحيطه الثقافيّ يتسم بتعدد المعاني وتباين الدِّلالات عند تداولها في مقامات معيّنة ومنها مقام العشق والعبادات وعقائد الديانات الوضعيّة وفي التنجيم أيضاً . أما في سياقه الجديد أي في السّلسلة العلاماتيّة المحتضنة لها فتسربل- القمر\ العلامة - بجلباب السيرورة الدلاليّة - السّيميوزيس - ؛ لأنّه قاد إلى دلالة مغايرة . الدال (القمر) استوفى عناصره وفقاَ لتقسيم بيرس لأركان العلامة ،إذ يتألف من (ماثول) وهي سلسلة الأصوات (اا\اق\ام\ار) ، ومن(موضوع)هو الجرم السّماويّ حول الأرض المتجسّد في الواقع الخارجي في سياق ظاهرتي المدِّ والجَزْر على المسطح المائي من البصرة إلى الصّين . وعلى (مؤول)وظيفته التوسط بين الماثول والموضوع ويتحدد بوصفه قانوناً أو ضرورة ، ويتمثل هذا القانون في العلاقة القائمة بين القمر والماء لحدوث المدِّ والجَزْر لتفضي التجربة الإنسانية المعيشة بوساطة العلامة \ القمر إلى ادراك القانون الآتي : المدُّ في منطقة الخليج العربي يكون إذا توسط القمر السّماء ، ويكون الجَزْر عندما يتموقع القمر في أحد طرفيها . ويحدث المدُّ في الرقعة المائيّة الواصلة بين نقطتي عُمان والصّين في موقع طلوع القمر وغيابه ، والجَزْر يحدث إذا توسط القمر السّماءَ .

نرى واضحاً ذوبان الأبعاد الثلاثة -الماثول والموضوع والموؤل- للعلامة - القمر - في سياقه الموقفي في الرحلة . ومن ثم الاحالة على القصديّة التواصليّة للسّيروة الدّلاليّة - السِّيميوزيس- وكبح جماح لا نهائية الدّلالة للعلامة بمعنى آخر ، فعلى الرغم من اكتساب العلامة \ القمر دلالة قشيّبة في مسارها التّدليّليّ والثقافيّ منذ انطلاقته بوصفه دالاً يحيل على جرم فضائي بمواصفات خاصة وما تلا ذلك من دلالات سياقية اتسعت بفعل الاستعمال وتفجير الطاقات والامكانيات، إلاّ عمليّة التأويل التّداوليّ للسيميائيّة لا تسمح بتشظي دلالات العلامة إلى ما لانهايّة بل تؤويها إلى ملاذ آمن هو التأويل التّداوليّ وهذا " النموذج من التأويل يقوم على مبدأ يقضي بأنّ يكون للتأويل حدٌّ يقف عنده وغاية يصل إليها هي الفهم

واتمام التواصل الجاريّ بين المرسِل والمرسَل إليه ... وأنّهُ لمّا يحصل الفهم تبطل الحاجة إلى التأويل ، وأنّ التأويل لا يقوم إلاّ لأجل الفهم وادراك المقاصد ولا نقوم به لأجل التأويل بل لأجل غايات وأهداف محددة " .[٨] هكذا صار القمر في سياقه الزمكاني علامة على حدوث الظاهرتين المعروفتين مؤدية وظائف عديدة منها معرفة مواقيت اقلاع المراكب والسّفن ومصدر من مصادر انتاج الطاقة واتخاذ الخطوات الاستباقية لدرء الأخطار الناجمة عن ارتفاع أمواج البحار والمحيطات.

ويُستشف من النصوص المنتشرة على جسد معماريّة الرِّحلة عناية كلاًّ من الرّحال سُليمان التّاجر ومدوّن الرِّحلة أبو زيد السِّيرافي بالأنظمة المعيشيّة لعدد من الإثنيّات الآسيويّة وتلك العنايّة تؤطر في ثيمة الأكتراثات المتنوعة للعلاماتيّة وللمجالات التي تشتغل بها ؛ لأنَّ " السّيمياء هي دراسة الشّفرات والأوساط فلا بُدَّ لها أن تهتم بالأيدولوجية وبالبنى الاجتماعيّة والأقتصاديّة وبالتحليّل النَّفسيّ " .[٩] ومن تلك المجالات العلاماتيّة ، سّيمياء زراعة محاصيل الحبوب ومواسم انتاجها وأنموذجها في الرحلة الوحدة السّرديّة الآتيّة " وأمرُ اليسّارة التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر ، فإنّه يدوم عليهم في الصّيف ثلاثة أشهر تباعاً ليلاً ونهاراً لا تمسك السَّماء عنهم بتّةً ... وبهذه اليسّارة عيشهم وإذا لم تكن هلكوا ؛ لأنّ زراعتهم الأرز لا يعرفون غيره ... فإذا انكشفت السّماء عنهم بلغ الأرز النهايّة في الرَّيع والكثرة " .[١٠] المحتوى القضوي لنص المطر والأرز هو الصلة بين معدل محصول القمح وأهم العوامل المؤثرة فيه وهو المطر واتسمت هذه الحادثة بطابع سيميائي على مستويين هما ،

الأول – لساني تركيبي تجسّدت تركيبياً بالبنية الاستعاريّة في قوله : " لا تمسك السّماء عنهم بتّةً " و " فإذا انكشفت السّماء عنهم بلغ الأرز النهايّة .." .

الآخر _ واقعي ذو مرجعيّة ثقافيّة . والاستعارتان تدلان على الخير والخصب لكن السّياق النصي وإنْ ألجمت عملية التأويل الاستعاريّ سيميائيّاً في نطاق توليّد الدِّلالة ، لكن البنيّة الاستعاريّة – انكشفت السَّماء – بوصفها علامة هي حاملة لفعل متبلور في سياقها الزَّمنيّ ولها جوانب نفسيّة ونفعيّة واقتصاديّة واشارة للأعلان عن مرحلة جديدة عند مزارعيّ الهند يتمثل بـ" النهايّة في الرَّيع والكثرة " . أما توقف هطول المطر – اليسّارة– أو "انكشاف السّماء " وفقا للتعبير الوارد في النص الرّحليّ فهو أنموذج من تمثّلات السِّيميائيّات المتداولة لبدء موسم الحصاد وجنّي الغلاة وعلى الرغم من أن الفعل التأثيريّ لم يظهر مباشرة في

السّياق توحي المؤشرات النصيّة إليه سواء قبل موسم هطول الأمطار وهو قوله : " وقد استعدوا قبل ذلك لأقواتهم " أم زمن اليسارة وهو المتحقق في قوله : " وبهذه اليسارة عيشهم وإذا لم تكن هلكوا ؛ لأنّ زراعتهم الأرز لا يعرفون غيره ولا قوت لهم سواه ". امتازت (العلامة \ انكشفت)بصفتين لتحقيق فعاليّة السِّيميوزيس ، الأول الحركيّة التي اتسمت بها العلامة على مستوى الدِّلالة وحيازتها دلالة مغايرة للمعنى المعجميّ . الآخر- هو فعل أثر العلامة على متلقيها – المزارعين ههنا- وتقييد ذاك الفعل بقيدين هما القيد الزمني- فصل الصيف – ، والقيد المكاني – بلاد الهند . وهذا التضافر للشروط صيّرت العلامة المتداولة – انكشاف السّماء – إلى تدليل علاماتي ميّزتها مِن غيرها من العلامات الأخرى ذات النتائج السّلبية ؛ لأنَّ كميّة الأمطار ليست دائماً علامة على نجاح الزراعة ، وكذلك الميقات غير المناسب . إنّ الفعل التأثيري للعلامات لايشترط حضوره على نحو مباشر كما في النماذج السّابقة وهو ما سيكون موضوع المحور الثاني من هذه الدَّراسة .

المحور الثاني- الأفعال التاثيريّة للعلامات

تظهر الصبغة التّداوليّة في سيميائية بيرس في البنيّة الثلاثيّة للعلامة وهي ما قادت إلى المفهوم الرئيس إلى السَّيروة الدلالية –السِّيميوزيس- وتكمن هنا نقطة الفراق بين سميائيّة بيرس وسميولوجية دي سوسير ذي البعد الاجتماعيّ التَّجريديّ وتمركز دراسته حول آليّة العلامة ووظيفتها التّواصليّة مع تجاهل الجانب الانجازيّ لها .[١١] وإذ قدّم موريس تصنيفه الثلاثي – الدِّلالة والتَّركيب والتّداول- لمستويات السّيمياء فإنّ جون أوستين عمل على تفريع الفعل التأثيري من الفعل الإنجازي جاعلاً منه عنصراً حيوياً من عناصره في دراسته لهذا الحقل ضمن حقول الدّراسات التّداوليّة . وقد رصدت هذه الدراسة تنوعاً في الأفعال التأثيريّة ، وهذا التنوع تموضع في شفرات وإيقونات مختلفة منها :

أ-شفرة المعتقدات ، وهي التي تبث ارساليّة لمارسات سلوكيّة ذات مرجعيات دينيّة ومن نماذجها طقس حرق النّفس في اطار سرديات سُليّمان التَّاجر لبعض أخبار الهند في مقطوعة موسومة بـ " ذكر احراق أهل الهند لأنفسهم " جاء فيها " وفي ملوكهم مَن إذا قعد للمُلك طُبِخَ لهُ أرز ثم وُضِعَ بين يديه على ورقٍ الموز ، وينتدب من أصحابه الثلاثمائة والأربعمائة باختيارهم لأنفسهم لا بإكراهٍ من الملك لهم فيُعطيهم المَلكُ من ذلك الأرز بعد أن يأكل منه ، ويتقرب رَجلٌ رجل منهم فيأخذ منه شيئاً يسيراً فيأكله ، فيلزم كل مَن أكل من هذا الأرز إذا

مات الملك أو قُتِل أن يحرقوا أنفسهم بالنّار عن آخرهم في اليوم الذيّ مات فيه لا يتأخرون عنه حتّى لا يبقى منهم عينٌ ولا أثر " .[١٢] يمكن تفكيك التركيبّة السّيميائيّة لطقس حرق النّفس على النحو الآتي :

-فعل سيميائي من نمط ايقوني قائم على أساس المشابهة بين دوال وصف المأدبة الملكيّة زمن تسنم السُّلطة – أكل الأرز على ورق الموز – وبين الواقعة الحقيقيّة .

-فعل تأثيري أول ناتج عن استقبال الفعل الملكيّ – تناول الأرز– بوصفه علامة سيميائيّة تستبطن القبول والاستحسان تجلّى في سلوك التّطوع " باختيارهم لأنفسهم لا بإكراه من الملك لهم " فالتقرب ثم الأخذ من الأرز وأكله .

-فعل تأثيري ثانٍ ، تحول طقس الفداء والتّضحيّة إلى وعدٍّ وهو المصنف تحت الأفعال الالتزاميّة وغرضه الإنجازيّ الإلتزام بفعل شيء في المستقبل . [١٣]

وإذا كانت المدة الزمنيّة بين الفعل التأثيري الاول للفعل السيّميائيّ التّداوليّ قصيرة جداً فإنَّ الفعل التأثيريّ الثاني المُقيّد بموت الملك أو قتله قد يطول فاصله الزمنيّ أو يقصر ، وهذا التفاوت بين الزمنين لا تسقط مشروعيّة الايفاء بالوعد أو انجازه ؛ لأنّه يرتكز على الالزام بعد تناول الأرز على العكس من الفعل الأول فأصحاب الملك غير ملزمين بالتناول . وبمفاهيم (جون سيرل) فإنّ العلامة السّميائية – تناول الأرز على ورق الموز – بوصفه حدثاً كلامياً يتضمن دلالة ضمنية هي تحريض غير الأصحاب أي زيادة المتطوعين– على فعل التناول والاغراء به . وينبغي الاشارة إلى أن شفرة طقس الحرق بالنّار عند الهنود بوصفها سلوكاً متداولاً عندهم لم تخضع لا من وجهة نظر صاحب الرّحلة ولا من مُدوّنها لثقافة التحيّز ولا لعملية التزيين والتقبيح انطلاقاً من معيار المفاضلة عند الرَّحالة المسلمين القُّدامى بحكم الوضعين السّياسيّ والحضاريّ لثقافة الذات .[١٤] وهذا الحياد في موقفهما لهذه الجزئيّة أمام ثقافة غير المسلمين علامة سيميائية تنفتح على تأويلين ،

الأول – إنّ سُليمان التّاجر لم يشأ الخوض أو التعليق في مناقشة عقائد الامم الأخرى ؛ لأنّ ذلك خارج عنايّة مجاله المهنيّ .

الثاني – إنّ تغاضي سُليّمان التَّاجر عن تقييم طقس حرق النّفس نابع من ثقافة التسامح والتعايش بين الديانات المختلفة بوصفه فعلاً تأثيرياً لفعل السَّفر والترحال الذي أكسبه انفتاحاً على الثقافات غير الاسلاميّة وغير العربيّة ، والذي يعزز هذه القراءة النص الآتي من الرِّحلة

نفسها يصف فيه التَّسامح الدينيّ وتعدديّة العقائد عند " ذكر أديان أهل جزيرة سرنديب وشرائعهم " إذ قال : " ولهذه الجزيرة جمع من اليهود كثير ، ومن سائر الملل ، وبها أيضاً الثنويّة ، والملك يُبيحُ لكل فريق منهم ما يتشرّع به " .(١٥)

ب–شفرة آداب مرور المواكب الملكيّة ، تنتقل مرويّات السِّيرافيّ من البلاط الهنديّ وبعض سننهم الملكيّة إلى سرد بعض تقاليد ملوك الصّين ونظام مرور مواكب الملوك ووظائف الخدم فيها ، ومنها الإنموذج الآتي " ومن سننهم في ركوب هؤلاء وملوك سائر المدن إذا ركبوا أن يتقدمهم رجال بخشب تشبه النَّواقيس يضربون بها ، فيُسمَعُ من بُعد فلا يقف أحد من الرعيّة في شيء من ذلك الطريق الذي يريد الخادم أو الملك أن يمرَّ فيه ، ومَن كان على باب دارٍ دخلها وأغلق الباب دونه ، حتّى يكون اجتياز الخادم أو الملك على تلك المدينة ، وليس في طريقه أحد من العامة ترهيباً وتجبّراً ؛ ولئلاً يكثر نظر العامة إليهم ولا يمتد لسان أحد إلى الكلام معهم " .(١٦) من بديهيات المنهج السِّيميائي في جانبه التطبيقيّ هي تقطيع النص وتقسيمه ، والنص الرّحليّ المنوه به يمكن تقسيمه في ضوء السِّيميائية التّداوليّة على قسمين :

الأول –الحدث الكلامي المتضمن لسلسلة أفعال انجازيّة بوصفها علامة سيميائيّة من نمط الإيقون وتتجسّد في النص الآتي " إذا ركبوا أن يتقدمهم رجال بخشب تشبه النواقيس يضربون بها " وهذه الصورة السَّرديّة انتجتها سيميائيّات الآداب الملكيّة والقناة الناقلة لهذه الشَّفرة هي الصوت المنبعث من الضرب على الخشب ومن ثم فإنّ الصوت الصادر هي شفرة مشتركة ومتداولة بين منتج الشّفرة ومفككها .

الثاني –إنّ الافعال التأثيريّة الصادرة من المتلقين تجسّدت في :

أ–اخلاء الطريق من الرعيّة بعد سماع صوت النواقيس. ب–الدخول إلى الدار واغلاق الأبواب. ت– زمن حظر التجوال يكون بدءاً من سماع النَّواقيس وحتّى اجتياز الخدم أو ملك تلك المدينة .

الثالث– القصد التّداولي لفعل الضرب بالنَّواقيس بوصفها علامة للأنذار والحظر هو تجبّر السّلطة الملكيّة وترهيب العوام وغض أبصارهم . وكذلك عدم السَّماح للطبقات المهمشة الحديث مع الخدم أو الملوك في الطرقات .

تعكس هذه الشّفرة توجيهات النّظام الصّارمة للآداب الملكيّة الصينيّة وما تتصل بها من التزامات شديدة من العوام .إنّ العلامة وفعلها التأثيري تحكم فاعليتها عناصر المكان

والزمان والشَّخصيات وتتسم طبيعة الفعل التأثيريّ الناتج من مستقبلي العلامة بالرضوخ والخضوع واستلاب الحقوق ، ويعكس في الوقت ذاته طبيعة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين تلك العلاقة المستندة إلى قوة السّلطة ومنطق القوة . من جانب آخر يستنبط من بنيّة الفعل التأثيريّ – الإنذار والحظر – التسليّم التام للرعيّة في الممالك الصّينيّة بالأوامر التشريعيّة الصّادرة لآداب المرور وقانون الحظر وإلاّ كانت قد شُرِعت أحكام ملكيّة تعاقب المخالفين لتلك المراسيم والتقاليد لمواكب الملوك وخدمهم . وأحال الفعلين التأثيرين – عدم الوقوف في الطريق ، ودخول الدار وغلق الباب – مستويين من الفعل التأثيري :

–مستوى جسدي تمثّل في ممارسة السّلطة على تواجد المّارة في الشّوارع والطرقات ، أي الغياب المؤقت للجسد بالقهر والتسلط .

–مستوى شعوري ، وهذا المستوى وإنْ لم يظهر علناً على سطح التَّركيب اللغوي للنص الرّحليّ إلاّ أنّ القصد التّداولي المشار إليه " ترهيباً وتجبّراً ... إلى الكلام معهم " يوحي إلى المسكوت عنه في بعده الشّعوريّ والنَّفسيّ ؛ فالجبروت والرهبة وخلق الفوارق الطبقيّة في البنيّة الاجتماعيّة تنتج من غير شك آثاراً نفسيّة واستجابات شعوريّة سلبيّة

ث– تقانة الواقعيّة السِّحريّة ، لا يقتصر ظهور الأفعال التأثيريّة متلازمة مع الأفعال الكلاميّة للغة اليوميّة بل تسري ذلك في النصوص الأدبيّة ومنها انبثاق أفعال تأثيريّة لنصوص رحلة السِّيرافيّ المصاغ اسلوبيّا بتقانة الواقعيّة السِّحريّة وهي مفهوم سرديّ صاغه الناقد الألماني فرانس رواه لأول مرة عام ١٩٢٥ لكن جذورها التراثيّة العربيّة تمنحنا الحق في أن يكون لنا باع طويل في الواقعيّة السِّحريّة وتظهر تلك الجذور في كتب وأعمال قديمة مثلاً حكايات ألف ليلة وليلة ورحلة السِّيرافيّ وكتاب الأغانيّ وغيرها التي تفتح المجال للخيال من دون أية عوائق وتغوص في ميادين وعوالم غريبة ومدهشة .[١٧] اختزنت الوحدات السَّرديّة في رحلة السِّيرافيّ علامات سيميائية ذات صبغة في الواقعيّة السِّحريّة وكانت لتلك العلامات ردود أفعال متشائلة ، من ذلك مسرود الراويّ في أخبار بحر الصّين " ثم البحر السّابع وهو بحر الصّين ... وهو بحرٌ خبيثٌ كثير الموج والخَبُّ ، وتفسير الخبِّ الشّدة العظيمة في البحر ... وذلك أن البحر إذا عظُم خَبُّه وكثر موجه ظهر منه أشخاص سودٌ، طول الواحد منهم نحو الخمسة الأشبار أو الأربعة كأنّهم أولاد الأحابيش الصِّغار شكلاً واحداً وقدّاً واحداً فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فإذا شاهد النّاس ذلك تيقنوا الشِّدة فإنّ ظهورهم علامة

للخَبِّ .فيستعدون لذلك فمبتليّ أو مُعافيّ . فإذا كان ذلك فربُّما شاهد المعافي ... شيئاً على صورة الطائر يُورى يتوقد لا يستطيع الناظر منّهم على ملئ بصره منه ولا ادراكه كيف هو ، فإذا استقل على أعلى الدَّقَل يرون البحر يهدأ والأمواج تَصغُر والخَبَّ يسكن ، ثم ذلك النُّور ينفد فلا يدريّ كيف أقبل ولا كيف ذهب ، فذلك علامة الخلاص ، ودليلُ النَّجاة " .[١٨] يمسك قارئ هذه المقطوعة ومتلقيها علامتينِ سيميائيتينِ هما : أ–البحر الهائج وظهور مخلوقات بشريّة بمواصفات خاصة . ب– مشاهدة بعض البّحارة من بعيد طائراً منيّراً . وولدّت العلامتان فعلين تأثيريينِ تجلّت بـ

أ–استجابة سلبيّة لمتلقي علامة الخِبِّ تجسّدت في النص الرِّحليّ بقول السّارد : " فإذا شاهد النَّاسُ ذلك تيقنوا الشِّدة فإنّ ظهورهم علامة للخَبِّ "

ب–رد فعل ايجابي لمتلقي علامة صورة الطائر المنيّر وهدوء البحر عبّر عنه النص بـ " فذلك علم الخلاص ، ودليل النَّجاة " . الملاحظ في العلامتين السِّيميائتيين المتداولتيّن مع الفعلين التأثيرّيينِ أنّهما تتدرجان ضمن الأنظمة المندمجة الثانويّة ووفقاً لمخطط (لوتمان) فإنّ العلامتين السِّيميائيتين تتحولان من رسالة إلى شفرة ، ومن شفرة إلى رسالة ؛ لأنّهما قد تحولتا في نص السِّيرافي من قيمة تقريريّة إلى دلالة ايحائيّة بفعل مزج عنصري الخيال والسِّحر – وأعنيّ الرجال السّود والطائر المنير –مع الواقع –ركوب البحر ومزوالة السّفر والتجارة – وهذا التوليف البنائيّ أضفى على النص الطابع السِحريّ وعمل على " نقل النص من اتصال إلى آخر ، دون أن ينفصل أحدهما عن الآخر في وعي الجمهور " [١٩]

لا يقف أثر الفعلين التأثيرين في أهل المراكب والبّحارة حسب ، بل نستشف من خلاصة قول سُليّمان التّاجر المذيّلة في خاتمة هذه الحادثة الدعوة إلى التصديق بهاتين العلامتين متكئاً على فعل حجاجي بقصد الاقناع والتأثير ، ومنطلقاً من ثالوث الأحكام العقليّة إذ قال : " وما ذكرناهُ عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب إذ كان جائز في مقدور الباريّ عزَّ وجلَّ خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء " .[٢٠] هذا المفعول للعلامة السّيميائيّة المتداولة اتخذ بعداً فكريّاً ، ومن ثم نخلص إلى القول إنَّ الفعل التأثيريّ للعلامتين قد ولدّتا أفعالاً تأثيّريّة على ثلاثة أبعاد هي :

البعد الشّعوريّ ، إذ عاشت الذوات الاستهوائيّة ثنائيّة الخوف والأمان وهي مآل انفعاليّ ربطت الذات بالموضوع ؛ لأنّ المتلقيّ لعلامة الأشخاص السُّود جعلتها في حال من الخوف والرُّعب

عبّرت عنه النصوص بالدالين (الشِّدة) و(مبتليّ) . أما الذوات المتلقيّة لصورة الطائر المنيّر فقد وصفتها النصوص بـ (معافي ، والخلاص ، والنَّجاة) وتتمحور جميعها حول الأمان . وهذا المستوى من الفعل التأثيري صادرٌ من مستقبلي العلامتين زمن معاينتهما .

البُعد الجسّديّ ، وهذا البعد للفعل التأثيريّ يُستشف استشفافاً من صفتي الابتلاء والشِّدة وأفعال هيجان البحر وتلاطم أمواجه وهو ما يفضي عقلاً إلى الضرر الماديّ اللاحق بالمراكب أو أهلها أو الإثنين معاً . ودلالات هذا البعد في النص مسكوت عنها لكن العناصر النَّصيّة تتضمنها وتحويها .

البُعد الفكريّ ، الفعل التأثيريّ في بعده الفكريّ مقيّدٌ بمتلقٍ حاضر أو غائب لظهور العلامتين في سياقهما الزَّمنيّ . ويستنتج من ذلك أن الأفعال التأثيّريّة للعلامات منها ما تصاحب ظهور العلامة ، ومنها ما تليّها في زمن معاصر للعلامة ، ومنها تظهر بعد ما تؤول العلامة إلى جزء من الموروث الثَّقافيّ غير المتداول في عصرنا الحاضر ، لكن الحاجة تقتضي اعادة قراءتها وتأويلها استناداً إلى الأفق المعرفي المعاصر . وترى هذه الِّدراسة أنَ العلامتين وأبعادها التأثيّريّة هي نتاج للبنى الفكريّة والمعتقدات الدينيّة والاقتصاديّة وانعكاسهما في حقل الأدب ونظريّة الخطاب .

المحور الثالث – فضاء المثقافة

كانت الجنبة الثقافيّة حاضرة في دراسة العلامات في مقولات الفلاسفة ولاسيّما الجناح الأمريكي للسِّيميائيّات التّداوليّة عند تشارلز بيرس وتأكيده لأهميتها في علاقتها بعوالمها الثلاثة – عالم الإمكان وعالم الواقع الفعلي وعالم تفسير الظاهرة– ، وينتج عن دخول " السِّيميائيّة في علاقتها مع الثقافة إلى اللجوء إلى عمليّة السَّمطقة (semiotization) التي تبين – –حسب ريفاتير – شعريّة النص أو أدبيته " .[٢١] وفي ضوء ذلك تتولى الدِّراسة في هذا المحور العلامات المتداولة في الثَّقافات المنفصلة والمجاورة في بعدين

الأول– التّداوليّات الخاصة ، والمقصود بها تلك العلامات المتداولة عند جماعة ثقافيّة معينة وعلى مستويات مختلفة منها المهن ، و الأشارات الاجتماعيّة

أ–سيميائيات البّحارة ، وهي ألفاظ متداولة يستعملها العاملون في مهنة البّحارة للدلالة على قصد خاص يؤطره الزّمان والمكان . و حفلت رحلة السِّيرافيّ بنماذج عديدة لاستعمال عناصر لغوية للدِّلالة على معانٍ مشفرة بين المتخاطبينَ ومنها لفظة (الخطف) في قوله : "

فإذا عُبِي المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء ، وخطفوا – وهذه لفظة يستعملها أهل البحر يعني يقلعون– إلى موضع يقال له مسقط " .[٢٢] قيّد السَّارد استعمال الدال (خطف) على أهل البحر وفسرها بـ(يقلعون) اشارة منه للفرق بين الخطأ التَّداوليّ الـ " مرتبط بالفشل النحويّ ، الذي يكون عادة محكوماً بضوابط صارمة قطعيّة " .[٢٣] وبين الفشل التَّداوليّ الذي " لا يكون ضوابطه صارمة ، بل محكومة بتغيرات السِّياق وثقافة المتكلمين " .[٢٤] فلفظة الخطف عند المتلفظين في هذا السِّياق تباين معنى الخطف في سياقات الجريمة والقانون والمنام وغيرها .

وتختص جغرافيات مختلفة بوحدات لغويّة خاصة متداولة في اطلاق أسماء مختلفة على المسمى نفسه لتُصنّف بعد ذلك في تداوليّات مستقلة في مجال من المجالات تعكس لهجات مناطقيّة أو اقليميّة ،من ذلك ما أورده الرَّاويّ في حديثه عن اللفظ المتداول لعمود الشِّراع في بحر الصِّيّن " فمنهم في أعلى الدَّقَل وتُسميّه أرباب المراكب في بحر الصيّن وغيره الدَّقَل ، وتُسميّه رجال البحر الرُّوميّ الصَّاريّ " .[٢٥] النص الأخيّر يُسعفنا لتصميم خريطة جغرافيّة للمترادفات ، واطلاع المتلقي على تداوليّات خاصة للبّحارة في بيئتين مائيتين منفصلتين هما ، بحر الصِّين وبحر الرُّوميّ– البحر الأبيض المتوسط حاليّاً– فالبيئة الأولى تستعمل لفظة (الدَّقل) لعمود الشّراع أما الأخرى فيتداول بحّارتها مفردة (الصَّاريّ) . وتكمن أهميّة نص السّيرافيّ في احالة استعمال كل لفظة إلى المحيط المتداول فيه وهي ما افتقرت إليها المعجمات ولاسيّما لسان العرب الذي اقتصر وظيفيّاً على تفسير اللفظين المنوه بهما والتلميح إلى حقليهما التصنيفيّ ، أي الترادف ، وعدم الاكتراث للتباين الجغرافيّ في تداولهما . قال ابن منظور في مادة (صري) : " وصاري السّفينة : الخشبة المعترضة في وسطها ... وهو دَقَلُ السَّفينة الذي يُنصَبُ في وسطها قائماً ويكون عليه الشِّراعُ " .[٢٦]

ومن تداوليّات البحّارة في الاستعمال اللغويّ ، هذا الإنموذج " أن أهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصّر " .[٢٧] نرى أن البعد التّداوليّ مرتكزٌ في سياقه التخاطبيّ للدال (الصّر) بوصفه علامة سيميائية لا تتحقق قوتها الانجازيّة وقصده التّداوليّ إلاّ في تضافر الشّروط التي أوردها السّيرافي في نصه ، وهي الطبقة الاجتماعيّة المتمثّلة بأهل المراكب ، والمكان وهو " ما بين الخليجين " . وكون هذه المساحة المائيّة طريقاً من طرق الملاحة البحريّة وهو الشّرط المستنتج من " إذا كان طريقهم فيه " . إنَّ انتفاء شرط من شروط التضافر يُفضي إلى فقدان الدال (الصّر) ميّزتها التّداوليّة الخاصة .

من جانب آخر تحقق الألفاظ المتداولة في سيميائيّات البحّارة القيّمة الاستدعائيّة عند شارل بالي في اسلوبيّته التعبيريّة ؛ لأنَّ كلَّ كلمة وكل بنيّة تنتمي إلى حالة محددة من حالات اللغة ، فهناك لغات خاصة بطبقة ، كما أن هناك لغات خاصة بوسط من الأوساط المهنيّة مثلاً وهذه الطبقات والأوساط تتميّز بنبرات وكلمات تعكس بدورها – أو بمصطلحات بالي تستدعي – مشاعر ومواقف ذهنيّة أو اجتماعيّة خاصة . وتتعلق هذه القيّم في جانب منها بلغة المتخاطبينَ (العصر ، والطبقة ، والمجموعة الاجتماعيّة ، واللهجة) .[٢٨]

ب–مؤشرات المكانة الاجتماعيّة ،وهي مؤشرات تفريعيّة عن الاشاريّات الشَّخصيّة للفرق بين مخاطب ذي مكانة عُليّا وآخر ذي مكانة دُنيّا ، والتعابير التي تشير إلى مكانة عليّا تسمى بالمُبجِّلات .[٢٩] ولهذا تعدُّ الألقاب الرَّسميّة للسلطات من أبرز المبجِّلات الاشاريّة للطبقات العليّا في ممالك الصّيّن والهند من أجل تكريس ثقافة التراتبيّة في سُلميّة المناصب ولترسيخ ثقافة التبجيّل في العلاقات الرَّسميّة وفي مخاطبة أصحاب المقامات العاليّة . ونالت تلك الألقاب الملكيّة والمُعيّنات الخاصة في المناصب الإداريّة والقضائيّة عناية في نصوص السِّيرافيّ . ومن تلك الألقاب المتّداولة في شبه القارة الهنديّة حينذاك هو (بَلْهَرَا) كما في هذا النص " فأما بَلْهَرَا فإنّهُ أشرف الهند وَهُم لهُ مُقِرّون بالشَّرف ... وبَلْهَرَا اسم لكل ملك منهم ككسرى ونحوه ، وليس باسمٍ لازم " .[٣٠] فلقب (بَلْهَرَا) صيغة تأشيريّة على علو مكانة المتلفظ به وعلامة لسانيّة متداولة في الممالك الهنديّة تحيل على أعلى منصب بين ملوك الهند بدليل النص الآتي " وكلُّ ملكٍ من ملوك الهند متفرد بملكه غير أنَّهم مقرون لهذا " .[٣١] ويستتبع هذا اللقب علاقة رسميّة وعُرف دارج في العلاقات بين ممالك الهند وقتذاك ممثّلة بهذا الفعل السّيميائيّ " فإذا وردت رُسُلُه على سائر الملوك صلوا لرُّسلِهِ تعظيماً لهُ " .[٣٢] إنّ صلاة ملوك الهند لرسول (بَلْهَرَا) توحي بعلاقة رسميّة قد تكون حميمية أو غير حميمة ومصطنعة .

أما الألقاب المتداولة في مرويات السّيرافيّ لممالك الصيّن والتي كانت شائعة في الاستعمالات الرسميّة والوثائق الحكوميّة فقد أحالت عليها الفقرة المتضمنة لأسماء ملوك الصيّن وعاداتهم في المُلْكِ " واسم ملوكهم على قدر الجاه وكبر المدائن ، فما كان من مدينة صغيرة يسمى ملكها طوسنج ... وما كان من مدينة مثل خانفو فاسم ملكها ديفُو ... فأما الملك الأكبر فلا يُرى إلاّ في كل عشرة أشهر يقول إذا رآني النّاسُ استخفوا بيَّ ... فهو البغبون وهو الملك

الأعظم وإنّما سُميَّ البغبون ومعناه ابن السَّماء ونحن نسميه المغبون " .[٣٣] أبرز النص المنوه به صيغاً للمبجِّلات بوصفها علامات سيميائيّة خاصة في البناء الهرميّ للمُعيّنات الوظيفيّة في الصيّن القديمة وهي وفقاً لسلسلة المراجع من الأدنى إلى الأعلى ، (طوسنج ، و ديفُو ، والبغبون) . واشاريّات التعظيم والتفخيم تلك ، تحيل تداوليّاً على قصدين ، الأول– ظاهر ومصرّح به وهو السُّلطة والنفوذ المُعبّر عنهما في النص الرِّحلي بـ " الجاه وكبر المدائن " . الآخر –ضمنيٌّ ، وهو مراعاة للمسافات الاجتماعيّة بين المتخاطبينَ سواءٌ أكان على مستوى علاقة طبقات العامة بطبقة الحاكمين أم العلاقة بين أصحاب الشّأن والمقامات العاليّة على اختلاف مراتبهم .

ومن صيغ التشريّف الدَّالة على الدرجات القضائيّة والمناصب الإدرايّة في مؤسسات الصين في العصور الوسطى كما في مدونة رحلة السّيرافيّ نقلاً عن سُليّمان التاجر ، المثال الآتي " وما كان من مدينة مثل خانفو فاسم ملكها ديفُو والخصيُّ يدعى الطوقام ... وقاضي القضاة يقال له لقشي مامكون ... والملوك الصِّغار إذا قعد في مدينته على كُرسيٍّ في بهوٍ عظيم ... ومن وراء الملك رَجُلٌ قائم يدعى لينجون إذا زل الملك في شيءٍ مما يأمر به وأخطأ رَدّهُ " .[٣٤]

اشتمل نص الألقاب القضائيّة والإدارية على تأشيرات اجتماعيّة عديدة كما هو ظاهر من محتواه ، والفارق بين الطوقام وبين لينجون أنّ الأول فسّره المحقق في هامشه قائلاً : " هو كالمستشار للمَلكِ في سياق تحقيقه للفقرة الآتيّة من متن رحلة السِّيرافي وهي " ويقال أنَّ لملك الصيّن من أمهات المدائن أكثر من مائتي مدينة ، ولكلِّ مدينة ملكُ وخصيٌّ وتحت كلِّ مدينة مدائن " .[٣٥] فهو بحسب الأهميّة والمنزلة – بعد ضم دلالة النصين السّابقين – يكون الطوقام أعلى رتبة ؛ لأنّه لقب لمستشاري الملوك الكبار ولينجون هو لقب لمستشاري الملوك الصّغار .

إنَّ تعدديّة هذه الألقاب وتنوعها هي " أحد أهم المؤشرات الدَّالة على سلطة الدَّولة ووظائفها السِّياسيّة والإداريّة ، كما تعدُّ من أهم المسوغات الفكريّة التي استخدمها أصحاب السُّلطة لتبرير سلطتهم أو اضفاء الشَّرعيّة عليها ، كما استخدموها للتقليل من شأن خصومهم أو أعدائهم والحط من شأنهم اجتماعيّاً وأخلاقيّاً بهدف تشويه صورتهم وابطال دعواهم بحقهم بالسُّلطة " .[٣٦]

هذه الألقاب والصيغ التمجيديّة هي أبرز ماسجلتها رحلة السِّيرافي في سياق السِّيميائيات المتداولة في ثقافتي الهند والصين وأنظمتهما السّياسيّة والإداريّة .

الثاني– فضاء المثاقفة ، من أشهر التعريفات المتداولة للثقافة هو تعريف إدوارد تايلور الذي قدّمه بالتصور الآتي ،" هي ذلك الكلُّ المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعُرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضوٌ في المجتمع " .[٣٧] هذا الكل المركب – أي الثقافة – بفعل المجاورة والتأثيّر والتأثر والسُّلطة وغيرها من العوامل صار التفاعل بين الثقافات المختلفة من الضرورات في عملية التواصل بين الهويات المتنوعة ونتيجة لتلك العمليّة وُلِدَّ فعل التثاقف وهو المعبّر عن " أوجه التبادل الثقافيّ بين الحضارات البشريّة المتعددة وحالة من الاعتدال بين الذوبان والتصلب والتعاطي مع الآخر ، وهو اتجاه يسعى أن يكون وسطاً بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الآخر وبين الانغلاق المطلق الذي يؤول إلى الانعزال تماماً عن الآخر " .[٣٨]

وظّفت هذه الدراسة مجسّة التثاقف في قراءة رحلة السّيرافيّ فأضاءت مجالات مختلفة للتلاقح الثقافيّ ،من أبرزها :

١–المجال اللغويّ ، إنّ اتصال اللغة العربيّة بغيرها من اللغات العالميّة ، ولاسيّما لغات غرب أسيا وجنوبها أكسبتها بعض المفردات والتراكيب لمسوغات معلومة مرةً وغير مكتشفة تارةً أخرى ونتيجة للإقتراض اللغوي للمفردات الأجنبيّة ظهر مايُعرف بالتعريب ، وهو " استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب واجراء أحكام اللفظ العربي عليه " .[٣٩] ومن تلك الألفاظ المُعربّة في رحلة السّيرافيّ ، لفظة (الفوطة) و(الجترة)في فقرة ذكر عادة ملوك الهند جاء فيها " وملوك الهند تلبس الأقراط من الجوهر النَّفيس في آذانها ... والرئيس منهم يركب على عنق رَجل منهم وعليه فوطة قد استتر بها ، وفي يدِّه شيءٌ يعرف بالجَترَة وهي مظلةُ من ريش الطواويس يأخذها بيده فيتقي بها الشّمس وأصحابه محدقون به " .[٤٠] يبين المقطع الوصفيّ لسيمياء أزياء ملوك الهند وزينتهم مثاليينِ لظاهرة التهجين اللغويّ بين العربية ولغات الهند ، تجسّد المثال الأول من التلاقح اللساني في استعمال لفظة (الفوطة) ذات الانتماء السِّندي ألسُّنيّاً ، ولكثرة تداولها شقت سبيلها إلى المعجم وتموقعت في جهود اللغويين ، وعنها قال الزُّبيدي : " قال ابن دريد : فأما الفوط التي تلبس فليست عربيّة . أو هي لغة سندية مُعربّة

بوته ، بضمة غير مشبعة قاله الصَّاغانيّ ... وكثر استعمال هذه اللفظة حتّى اشتقوا منها فعلاً ، فقالوا : فوطه تفويطاً : إذا ألبسه فوطة " .[٤١]

المثال الآخر في المفردة الهنديّة (الجَترَة) في قول سُليّمان التاجر " وفي يدِّه شيءٌ يعرف بالجَترَة " ثم فسّره بـ" مظلة من ريش الطَّواوويس " هذه المفرده تحمل في سياقها اللغوي وما بعد اللغوي – الميتا لغة – فعل المطاوعة – وأقصد امكانيّة تداولها على نطاق واسع للناطقين بالعربيّة – ، وإنْ كانت في مراحلها المبكرة في الاندماج داخل دائرة الاستعمال الشّعبيّ والرَّسمي للغة العربية كما يوحي لنا جوُّ النص . ومن نماذج علاقة الأواصر اللغوية بين الثقافتين العربيّة والهنديّة والتثاقف الإيجابيّ هي لفظة (النارجيل) المقتبسة من اللغة الهنديّة ، وانتقاها سُليمان التاجر في وصفه لجزائر بحر (هركند) – خليج البنغال حاليّاً – قائلاً : " والبحر الثالث ، بحر هركند وبينه وبين بحر دلارُوى جزائر كثيرة ... وهذه الجزائر التي تملكها المرأة عامر بنخيّل النارجيل " .[٤٢] وهي لفظة كانت شائعة في الاستعمال قبل زمن السِّيرافي فقد استحضرها الفراهيّديّ في معجمه قائلاً : " نرجل : النّارَجِئلة يهمزُ ، وعامة النّاس لا يهمزون ، وهو الجوز الهنديّ . الواحدة : نارَجئيلة " .[٤٣] وعن ظاهرة وجود الفاظ أجنبية في اللغة العربيّة قال الدكتور محمّد غُنيمي هلال " إنّ ايراد بعض الألفاظ العاميّة أو الأجنبية في التراكيب الفصيحة لا ينال من اللغة الفصحى ولا يجعل منها عاميّة أو أجنبيّة ، فالألفاظ المفردة لا تخلق اللغة ولا تميزها ؛ ذلك أن خاصيّة اللغة تتمثل في تراكيبها وما يتصل بالتركيب من دلالات وضعيّة أو جماليّة ... فالانكَليزيَة مثلاً لغة سكسونيّة وليست لاتينيّة ، على الرغم من أكثر ألفاظها فرنسيّة ".[٤٤] تلك النماذج وغيرها من الألفاظ في اللغة العربيّة صارت علامة على التثاقف في بعده اللسانيّ بين العربيّة ولغات العائلة الهندو أوربيّة .

٢–مجال الفن التّشكيليّ ، تنهض الإيقونات الدينيّة للأنبياء في التّداول الثقافي بين الحضارات المتباينة سواء عند النُّخب أم الطبقات الشّعبيّة مظهراً من مظاهر المثاقفة وعلامة على التسامح الدينيّ بين معتنقي تلك الديانات والطوائف . وتنتصب مقتنيّات الملوك شاهداً بارزاً على التثاقف ، ومن جملة تلك المقتنيّات الملكيّة ، صور الأنبياء والقديسين في الخزانة الملكيّة ، وقد أسدل السِّتار عنها المحاورة بين ملك الصِّين وابن وهب بوساطة التُّرجمان كما في هذا المشهد الحواريّ " أتعرف صاحبك إنْ رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ وكيف لي برؤيته وهو عند الله جلَّ وعزَّ ، فقال : لم ارد هذا إنّما أردتُ صورته ... فأمر

بسِفط فأخرج فوضع بين يديه فتناول منه دَرْجَاً... فرأيتُ في الدَّرْجِ صور الأنبياء ... هذا نوح في السَّفينة... هذا موسى وعصاه... وهذا عيسى على الحمار والحواريّون ... ثم قال : رأيتُ صورة النبيّ صلى الله عليه وسلم على جملٍ وأصحابه محدقون به على إبلهم ... ورأيتُ صور أنبياء ذوي عدد كثير ... زعم التّرجمان أنّهم من أنبيائهم وأنبياء الهند " .[٤٥] جسّد معرض صور ملك الصيّن أو بتعبير ابن وهب سفط الملك ودُرُّجه ما يأتي

-فضاء سيميوطيقي كونيّ لتعدديّة أكبر أديان حضارات قارة آسيا وأعراقها – الحضارة الإسلاميّة والصينيّة والهنديّة – .

-عكست سيمياء إيقونات الأنبياء في البلاط الصيِّنيّ دلالات ماديّة ورمزيّة الأولى تحيل على الواقعي وقضاياها والأخرى تجسّد الابداع .

-مثّلت المحاورة بين ملك الصيّن وابن وهب شكلاً من أشكال نسق التحول من الاتصال إلى التواصل بين الحضارة العربيّة الإسلاميّة وحضارة الصين .

– مبدأ التعدديّة والتبادل المعرفيّ لإنشاء أرضيّة مشتركة للتعايش السّلمي بين معتنقي الديانات كان من أهم الرسائل التي بثتها المحاورة لمتلقيها .

-عكست تلك الإيقونات في حضرة الملك قيم التسامح وقبول الآخر ووجود تلك الايقونات يمثل حالة من الانفتاح وأحالت ضمناً على فلسفة دولة وسلوك النظام الذي ينبغي أن يسود في العلاقات الدوليّة .

وهذا النمط من المثاقفة يلامس المفهوم المنطلق من ضرورة التمايز بين مفهوم المثاقفة الذي يعني التفاعل المتكافئ والاحترام المتبادل بين مختلف ثقافات الشُّعوب وبين مفهوم التَّبعيّة والاستلاب والغزو الثقافي والعولمة الثقافيّة .[٤٦]

إنّ فضاء المثاقفة بالمفهوم المنوه به هو مرآة لإبانة صورة من صور الجمال والقوة والتنوع في التواصل بين الإثنيّات والعقائد قديماً وحديثاً .

نتائج البحث

أفرز البحث في رحلة السّيرافيّ في ضوء المقاربة السِّيميائيّة التّداوليّة عدداً من النتائج هي

١-السّيرورة الدلاليّة (السّيميوزيس) لا تقتصر في معالجة اشتغال الدليل على الاستعمال الفرديّ للصيرورة حسب بل يتعدى ذلك إلى الاستعمال الجماعيّ .

٢-هيمنت الإيقونة بوصفها قسماً من أقسام العلامة عند بيرس على نصوص رحلة السّيرافي

٣–اتسمت الأفعال التعبيريّة المولّدة للعلامات بثلاثة مستويات هي الاستحسان والاستهجان وثالث جامع بين الاثنين .

٤– بعض من الأفعال التأثيريّة لا تتجلّى مباشرة بل تستنتج استنتاجا بوساطة السِّياق اللغويّ.

٥–زخرت الرحلة بثروة لغويّة ترفد واضعي الأطالس اللغويّة واللهجات الخاصة لبيان الانتشار الجغرافي لمستعلمي تلك اللغات ، والأقاليم الجغرافيّة التي تختص بإسلوبيّات معينة وعلامات لغويّة مختصة بهم .

٦–كشفت الدراسة وجود منطقة تشابك وترابط للأدوات الاجرائية لمناهج نقديّة مختلفة منها السيميائيّة والتّداوليّة والأسلوبيّة

٧– المجاورة والعلاقات التجاريّة من أبرز عوامل التثاقف في رحلة السّيرافيّ .

The Deliberative Concepts in the Travel Literature, Al-Serafi as a Sample

Keywords: Literature, Travelling, Al-Serafi, The concepts, The Deliberative

Asst.Prof. Dr. Hazha Abbas Ali University of Sulaimaniah
Asst.Prof.Dr. Ramadhan M. Kareem University of Garmian
Asst.Prof.Dr. Hussein I. Mohammed University of Garmian

The study picks up the scope of Travel literature as a cultural field mingled by signs and communication systems that in its space, the deliberative dimensions will be flourished. Thus, the study favors the employment of these circulation concepts and its main concentrations in writing of Charles Perez, Charles Mouros and Jane Austen so that it might deal with travelling texts and how its being compared. So, manipulating of these concepts led to illuminating the heritage text and reading it with a new vision full of aesthetic, symbolic, ethical and human connotations, as well as displaying the positive interaction between an ancient text and modern and contemporary methods.

الهوامش

١–من التّداوليّة الى السِّيميائيّة أسس ومعطيات ، د.محمّد سالم سعدالله ، مجلة الأديب ، السنة الرابعة – العدد (١٤٥)، ٢٣آيار (مايو) ، ٢٠٠٧ : ٥

٢–ينظر التّداوليّة النشأة والتطور ، عبدالحكيم سحالية ، المجلة منتدى حمده بو منصورة ، الطارف ، قسم الدراسات العلياوالجامعيّة ، السبت 27 مارس ٢٠١٠– 15:33، http://boumansouraeducation.com

٣–ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث "تداوليّات التاويل " د.حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٢٢٧

٤–ينظر معجم السِّيميائيّات ، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ١٩٤

٥-رحلة السِّيرافيّ ، أبو زيد الحسن كان حيّاً ٢٠٣هـ ، تحقيق : عبدالله الحبشيّ ، المجمع الثقافيّ ، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ١٩٩٩ : ١٥

٦-ينظر السّميائيّات والتأويل مدخل لسميائيّات ش.س . بورس ، سعيّد بنكَراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٤٦

٧-رحلة السِّيرافيّ : ٣٠

٨-التّداوليّات علم استعمال اللغة ، د.حافظ اسماعيلي علوي ، ٢٣٠-٢٣١

٩-السَّيمياء والتأويل ، شولز روبرت ، ترجمة سعيّد الغانميّ ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنَّشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ : ١٥

١٠-رحلة السِّيرافيّ : ٨٣

١١-ينظر مدخل إلى السّيميائيّات التّداوليّة اسهامات بيرس وشارل موريس ، الاستاذ هواري بلقندوز ، كليّة الآداب والفنون ، جامعة مستغانم ، الملتقى الثالث " السّيمياء والنص الأدبي " ، http://archives.univ-biskra.dz

١٢-رحلة السِّيرافيّ : ٧٨

١٣-ينظر آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ، د.محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط ١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠١١م : ١٠٤

١٤-ينظر أدب الرحلات ، د.حسين محمّد فهيم ، عالم المعرفة و المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيو ١٩٨٩ : ١٧٦

١٥- رحلة السّيرافيّ : ٨١

١٦-م . ن : ٥٩

١٧-ينظر الواقعيّة السِّحريّة في الروايّة العربيّة ، غيداء التميميّ ، ٣ اكتوبر ٢٠٢١ ، تاريخ الزيارة ٨ أيلول ٢٠٢٢، http://mawdoo3.com

١٨-رحلة السِّيرافيّ : ١٢٤

١٩-أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف سيزا قاسم و نصر حامد أبو زيد ، دار الياس العصرية ، القاهرة – جمهوريّة مصر العربيّة : ٦١

٢٠-رحلة السِّيرافيّ : ١٢٥١

٢١-نقلاً من التّدوليّة إلى السّيميائيّة أسس ومعطيات : ٥

٢٢-رحلة السِّيرافي : ٢٤-٢٥

٢٣-الفشل التّداولي في فكر (جيني توماس) مع تطبيقاته في اللغة العربيّة ، أ.م.د باسم خيري خضيّر و م.م سلام عبّاس محمود ، مجلة مداد الآداب ، عدد خاص بالمؤتمرات ، ٢٠١٨-٢٠١٩ : ٢٧٤

٢٤- م . ن ، والصفحة نفسها

٢٥-رحلة السّيرافيّ : ١٢٤

٢٦-لسان العرب ، للإمام العلاّمة إبن منظور ٦٣٠-٧١١هـ ، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمّد الصادق العبيديّ و دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، ط ٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م : ٧ \ ٣٣٩

٢٧-رحلة السِّيرافيّ : ١٢٢

٢٨-ينظر الأسلوبيّة ، بيير جيرو و ترجمة د.منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاريّ للدراسات والنّشر والترجمة ، ط ٢ ، ١٩٩٤م :٥٦

٢٩-ينظر التّداوليّة ، جورج يول ، ترجمة د.قصي العقابيّ ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م : ٢٩

٣٠-رحلة السِّيرافيّ : ٣٤

٣١- م. ن ، والصفحة نفسها

٣٢-م . ن ، والصفحة نفسها

٣٣-م . ن : ٤٠-٤٤

٣٤- م . ن : ٤١

٣٥-م . ن : ٣٨

٣٦-الألقاب والوظائف في شبه القارة الهنديّة (٦٠٢هـ -٩٣٢هـ \ ١٢٠٦م - ١٥٢٦م) دراسة حضاريّة ، رسالة ماجستير ، اشرف حامد عبدالرؤوف محمّد ، بإشراف أ.د محسن سعد عبدالله ، و د.إبراهيم عليّ البهيّ ، كليّة اللغة العربيّة بالمنصورة ، جامعة الأزهر : ١١٣

٣٧-تايلور- سلسلة نوابغ الفكر ، ترجمة د.أحمد أبو زيد ، دار المعارف ، القاهرة -مصر ، ١٩٥٨: ١٢

٣٨-مفهوم المثاقفة بين الخصوصيّة والكونيّة ، محمّد رواجي ، مجلة لوغوس مختبر الفينومينولوجيا ، العدد الخامس والسّادس ، السَّبت 10أيلول \ سبتمبر 2022 acclitaration<https:\\labopheno.com،

٣٩-التعريب وأثره في الثقافتين العربيّة والفارسيّة ، د.نورالدين آل عليّ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م : ١٧

٤٠-رحلة السّيرافيّ : ٩٣

٤١-تاج العروس من جواهر القاموس ، للسَّيّد محمّد مرتضى الحُسينيّ الزُّبيدي ، تحقيق عبد الحليم الطحاويّ ، مراجعة عبدالسِّتار أحمد فرّاج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م : ١٩ \ ٥٤٩

٤٢-رحلة السِّيرافي : ١٧

٤٣-كتاب العين و الخليل بن أحمد الفراهيديّ ١٧٠ هـ ، ترتيب وتحقيق د.عبدالحميّد هنداوي ، المحتوى : ك – ي ، منشورات محمّد عليّ بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ : ٧ \ ٢١٠

٤٤-النقد الأدبي الحديث ، د.محمّد غنيمي هلال ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ، اكتوبر ١٩٩٧ : ٦٢٦

٤٥-رحلة السّيرافيّ : ٦٢-٦٣

٤٦-ينظر مفهوم المثاقفة بين الخصوصيّة والكونيّة ، محمّد رواجي ، مجلة لوغوس مختبر الفينومينولوجيا ، العدد الخامس والسّادس ، السَّبت 10أيلول \ سبتمبر 2022 acclitaration<https:\\labopheno.com،

مسّرد مصادر البحث ومراجعه

- آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ، د.محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط ١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠١١م . أدب –أدب الرحلات ، د.حسين محمّد فهيم ، عالم المعرفة و المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيو ١٩٨٩
- الأسلوبيّة ، بيير جيرو و ترجمة د.منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاريّ للدراسات والنّشر والترجمة ، ط ٢ ، ١٩٩٤م
- –أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف سيزا قاسم و نصر حامد أبو زيد ، دار الياس العصرية ، القاهرة – جمهوريّة مصر العربيّة
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسَّيّد محمّد مرتضى الحُسينيّ الزُّبيدي ، تحقيق عبد الحليم الطحاويّ ، مراجعة عبدالسِّتار أحمد فرّاج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
- التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث "تداوليّات التاويل " د.حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١
- –التّداوليّة ، جورج يول ، ترجمة د.قصي العقابيّ ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م

- -التعريب وأثره في الثقافتين العربيّة والفارسيّة ، د.نورالدين آل عليّ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م
- رحلة السِّيرافيّ ، أبو زيد الحسن كان حيّاً ٢٠٣هـ ، تحقيق : عبدالله الحبشيّ ، المجمع الثقافيّ ، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ١٩٩٩
- سلسلة نوابغ الفكر ، تايلور ، ترجمة د.أحمد أبو زيد ، دار المعارف بمصر
- السَّيمياء والتأويل ، شولز روبرت ، ترجمة سعيّد الغانميّ ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنَّشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤
- السّميائيّات والتأويل مدخل لسميائيّات ش.سز بورس ، سعيّد بنكَراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥
- -كتاب العين و الخليل بن أحمد الفراهيديّ ١٧٠ هـ ، ترتيب وتحقيق د.عبدالحميّد هنداوي ، الجزء السابع ، المحتوى : ك – ي ، منشورات محمّد عليّ بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ
- لسان العرب ، للإمام العلاّمة إبن منظور ٦٣٠-٧١١هـ ، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمّد الصادق العبيديّ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت– لبنان ، الجزء السابع ، ط ٣ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م
- ما هي السِّيميولوجيا ، برنار توسان ، ترجمة محمّد نظيف ، أفريقيا الشَّرق ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٠
- معجم السِّيميائيّات ، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، ط ١ ، ٢٠١٠
- -النقد الأدبي الحديث ، د.محمّد غنيمي هلال ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ، اكتوبر ١٩٩٧
- **<u>الرسائل والأطاريح الجامعيّة</u>**
- -الألقاب والوظائف في شبه القارة الهنديّة (٦٠٢هـ -٩٣٢هـ \ ١٢٠٦م – ١٥٢٦م) دراسة حضاريّة ، رسالة ماجستير ، اشرف حامد عبدالرؤوف محمّد

، بإشراف أ.د محسن سعد عبدالله ، و د.إبراهيم عليّ البهيّ ، كليّة اللغة العربيّة بالمنصورة ، جامعة الأزهر

- **الدوريّات (المجلات والجرائد)**
- -الفشل التّداولي في فكر (جيني توماس) مع تطبيقاته في اللغة العربيّة ، أ.م.د باسم خيري خضيّر و م.م سلام عبّاس محمود ، مجلة مداد الآداب ، عدد خاص بالمؤتمرات ، ٢٠١٨-٢٠١٩
- -من التّداوليّة الى السِّيميائيّة أسس ومعطيات ، د.محمّد سالم سعدالله ، مجلة الأديب ، السنة الرابعة – العدد (١٤٥)، ٢٣آيار (مايو) ، ٢٠٠٧
- مفهوم المثاقفة بين الخصوصيّة والكونيّة ، محمّد رواجي ، مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا ، العدد الخامس والسّادس ، السَّبت 10أيلول \ سبتمبر 2022، acclitaration<https:\\labopheno.com
- **-المواقع الألكترونيّة**
- التّداوليّة النشأة والتطور ، عبدالحكيم سحالية ، المجلة منتدى حمده بو منصورة ، الطارف ، قسم الدراسات العلياوالجامعيّة ، السبت 27 مارس ٢٠١٠- 15:33، http://boumansouraeducation.com
- -مدخل إلى السّيميائيّات التّداوليّة اسهامات بيرس وشارل موريس ، الاستاذ هواري بلقندوز ، كليّة الآداب والفنون و جامعة مستغانم ، الملتقى الثالث " السّيمياء والنص الأدبي " ، http://archives.univ-biskra.dz
- -الواقعيّة السِّحريّة في الروايّة العربيّة ، غيداء التميميّ ، ٣ اكتوبر ٢٠٢١ ، تاريخ الزيارة ٨ أيلول ٢٠٢٢، http://mawdoo3.com